برنامج أنوار كاشفة سلسلة رمز وحقيقة الحلقة السابعة والعشرون

سفر الجامعة

مستمعي العزيز ، مازلنا نتأمل بأحداث وشخصيات العهد القديم من الكتاب المقدس . لنكتشف المزيد من المعاني والرموز التي تشير إلى خطة الله الأزلية لإنقاذ الإنسان ، والتي تشير أيضا إلى المخلص المسيح . وكنا قد بدأنا قبل ثلاث حلقات بالحديث عن الملك سليمان الحكيم . وتأملنا في اللقاء الماضي في سفر الأمثال الذي كتبه سليمان الحكيم ، والذي تحدث فيه عن أهمية الحكمة في حياة الإنسان ، وضرورة طلبها . وتبين لنا أن الحكمة الحقة هي المخلص المسيح ، وأن حكمة الله تجلّت في صليب المسيح وعمل الفداء . وأن الحكمة هي نفسها الكلمة الأزلي المعلن عنه في الإنجيل المقدس، الذي تجسّد وصار إنسانا في شخص المخلص المسيح.

أما في لقاء اليوم فسنتحدث عن سفر آخر من أسفار الحكمة في الكتاب المقدس ، ألا وهو سفر الجامعة الذي كتبه أيضا سليمان الحكيم . وقد كتب سليمان هذا السفر في شيخوخته ، وعند كمال اختباره .

معنى كلمة الجامعة في الأصل العبري ، هو الكارز ، أو من يجلس في محفل ، ويتكلم في مجتمع . وكما اعتدنا فإننا سنحاول اكتشاف المعاني القيمة الكامنة في سفر الجامعة ، وما تشير إليه من حقائق روحية هامة . يحتوي سفر الجامعة على الكثير من الحكم الرفيعة والمبادئ السامية ، التي لابد أن تساعد الإنسان في مسيرته على الأرض . ونلاحظ أن حكيم سفر الجامعة ، يكرر عبارة تحت الشمس ثماني وعشرين مرة . ويكرر أيضا كلمة باطل سبعا وثلاثين مرة . ويذكر الأرض وما عليها من أباطيل نحو أربعين مرة . ولعل عبارته المشهورة في هذا السفر هي : " **باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح** . "

تساءل الحكيم في الأصحاح الأول من سفره قائلا : " **ما الفائدة للإنسان من كلّ تعبه الذي يتعبه تحت الشمس** ؟ " (سفر الجامعة١:٣) وكان هدفه هو إقامة الدليل ، على عجز متاع الدنيا ولذاتها في إشباع أو إرواء النفس البشرية . كان سليمان الحكيم هو الوحيد المؤهل لإبداء رأيه ، وعرض تقييمه بالنسبة لهذا الموضوع الهام ، الذي يشغل بال معظم الناس ، ويمس صميم حياتهم اليومية . أي موضوع كفاح الإنسان وتعبه لكي يصل إلى السعادة . فقد عرف سليمان الغنى والشهرة والسلطان والمجد والحكمة ، لكنه وصل إلى نتيجة مؤلمة ، أن الكل باطل وقبض الريح ، وأنه لا منفعة للإنسان تحت الشمس . كتب سليمان الحكيم قائلا:

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

" **عظّمت عملي ، بنيت لنفسي بيوتا ، غرست لنفسي كروما ، عملت لنفسي جنّات وفراديس ، قنيت عبيدا وجواري، وكانت لي أيضا قنية بقر وغنم. جمعت لنفسي أيضا فضة وذهبا وخصوصيات الملوك والبلدان . اتخذت لنفسي مغنّين ومغنّيات ، وتنعّمات بني البشر سيدة وسيدات . فعظمت وازددت أكثر من جميع الذين كانوا قبلي في أورشليم ، وبقيت أيضا حكمتي معي . ومهما اشتهته عيناي لم أمسكه عنهما . لم أمنع قلبي من كل فرح .** " (سفر الجامعة٢:٤-١١) لكن ماذا كانت نتيجة كل ذلك ؟ يجيبنا سليمان الحكيم قائلا : " **ثم التفت أنا إلى كل أعمالي التي عملتها يداي، وإلى التعب الذي تعبت في عمله ، فإذا الكل باطل وقبض الريح، ولا منفعة تحت الشمس.**" لماذا ؟ أين يكمن السر يا سليمان في عدم حصولك على السعادة ؟ بالرغم من غناك وعظمتك وشهرتك؟

تجيبنا كلمة الله بكل وضوح أن السبب يعود إلى الخطية ، التي تستعبد نفس الإنسان ، وتمنع عنه الراحة والهناء . فجميع البشر كما يخبرنا الكتاب المقدس هم خطاة ، وبحاجة إلى خلاص الله وتحريره لهم من عبودية الخطية. إن علّة عذاب وشقاء الإنسان ، تكمن إذن في وجود الشر داخل كيانه . لهذا مهما حاول الإنسان ، وبذل من جهود مضنية لإسعاد نفسه ، عن طريق المقتنيات ومغريات العالم والملذات ، فلن يحصد سوى الخيبة والمرارة والفشل . لا بل سيطلب المزيد منها دائما ، دون أن يرتوي . وهو ما عبّر عنه أيضا سليمان الحكيم عندما كتب قائلا : " **العين لا تشبع من النظر ، والأذن لا تمتلىء من السمع .**" (سفر الجامعة ١:٨) لأن أمور هذا العالم المغرية لن تُشبع النفس ، بل بالعكس تجعلها تطلب المزيد والمزيد دون أي اكتفاء .

لكن أليس هذا بالضبط ما أعلنه لنا بوضوح المخلص المسيح ؟ ففي حديثه مع المرأة السامرية عند البئر ، قال لها المسيح : " كل **من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا .**" (بشارة يوحنا٤:١٣) وهو قصد ماء العالم المادي ، وليس مجرد ماء الشرب فقط . إن الإنسان يركض في حياته وراء كل ما يظن ، أنه سيجلب له السعادة والإكتفاء . أي يسعى نحو الغنى والشهرة والسلطة ، لكنه يكتشف في كل مرة أنه كمن يسعى نحو السراب الخادع بين كثبان رمال الصحراء المحرقة. وهذا ما قصده المخلص المسيح عندما قال أن من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا. أي لن ترتوي نفسه أبدا ، إذ هو بحاجة دائما ، لكي يعود ويشرب من حاجات هذا العالم المادي وملذاته .

لكن ما هو علاج هذه المشكلة ؟ وأين يكمن الحل ؟ وهل هناك من أمل في إرتواء نفس الإنسان العطشى وحصوله على السعادة ؟ لقد أجابنا سليمان الحكيم عن هذا السؤال الهام في نهاية سفر الجامعة ، إذ كتب قائلا : " **فلنسمع ختام الأمر كله ، اتق الله واحفظ وصاياه . لأن هذا هو الإنسان كله . لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيرا أو شرا .**" (جامعة ١٢:١٣و١٤) هذا هو ملخّص الكلام إذن ، وهنا بالذات تكمن سعادة الإنسان الحقة ، عندما يتقي الله ويسلك في طرقه . وعندها لابد أن يجد الإرتواء الحقيقي ، ولا يعود يسعى وراء المادة والمباهج المؤقتة .

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

لكن ، كيف يختبر الإنسان حياة التقوى ويسلك في طرق الله ووصاياه ؟ لقد أجابنا المخلص المسيح عن هذا السؤال الهام . عندما تابع حديثه مع المرأة السامرية فقال لها : " **ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد . بل الماء الذي أعطيه أنا يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية** ." (يوحنا ٤:١٤) . إن إختبار حياة التقوى يكون إذن بالإيمان بالمخلص المسيح ، الذي وحده يُروي نفوسنا العطشى . إذ عندما يؤمن الإنسان بالمسيح المخلص يغفر الله ذنوبه ، ويخلقه خليقة روحية جديدة ، ويصبح من أولاد الله . وهذا يتم بسكنى الروح القدس في كيان الإنسان . ولهذا قال المخلص المسيح أن الماء الذي يعطيه هو ، سيظل ينبع إلى الأبد ، إذ يهب الله كل من يؤمن بالمخلص المسيح الحياة الأبدية . وعندما ينال الإنسان هبة الخلاص هذه ، يستطيع أن يعيش حياة التقوى ، وأن يحفظ وصايا الله . وليس هذا فحسب ، بل ترتوي نفسه العطشى ، ولا يعود يركض وراء سراب الحياة المادية ومباهجها الفانية .

أليس هذا أمرا مفرحا وعظيما يا أعزائي ؟ أن يهبنا الله نعمة الخلاص الأبدي ؟ وهكذا لا نتحرر من عبودية الخطية والشهوات الفاسدة فقط ، بل ننجو أيضا من دينونة الله العادلة . ولهذا نجد حكيم الجامعة يوجه نصيحة أخرى هامة ، في ختام سفره إلى الإنسان فيقول: " **فاذكر خالقك في أيام شبابك . قبل أن تأتي أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس لي فيها سرور.** " ثم أضاف قائلا : " **لأن الإنسان ذاهب إلى بيته الأبدي .. فيرجع التراب إلى الأرض كما كان ، وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها . باطل الأباطيل قال الجامعة الكل باطل** ." (جامعة١٢:١و٥و٧-٨)

إنها نصيحة نوجهها نحن بدورنا ، إلى كل شاب وشابة . إلى كل إنسان مازال في مقتبل العمر ، يظن أن الحياة متعة ، وركض وراء المادة والملذات والمباهج . إذ سيأتي يوم يجد فيه قلبه فارغا ، ونفسه مازالت عطشى ، وحياته جوفاء لا معنى لها ، فيندم على أيامه التي أضاعها . وعندها لا يستطيع التوبة ، إذ يكون قلبه قد تقسّى ، وضاعت منه الفرصة إلى الأبد. فهل تلتفتا عزيزي الشاب ، صديقتي الشابة إلى خالقكما ؟ وأنتما في ريعان الصبا والشباب ؟ وهكذا تجدان الراحة الحقة ، وترويان نفسيكما العطشى ، وتعيشان إل الأبد . إن دينونة الله العادلة بانتظارنا جميعا . وما علينا إلا أن نقبل خلاص الله كما أُعلن لنا من خلال المخلص المسيح ، وعندها لا نأتي إلى دينونة بل ننتقل من الموت إلى الحياة . فهل تُرانا نسمع نصيحة حكيم الجامعة ؟

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service